حيثيات السلوك الانتخابي لليهود الشرقيين، في الماضي والحاضر، ونتائجه

د. أسعد عبد الرحمن

استغرب كثيرون وصول تكتل الليكود الى قمة السلطة السياسية عندما نجح، لأول مرة، في الانتخابات الاسرائيلية في العام ١٩٧٧. وكان ذلك الحدث بمثابة انقلاب في الحياة السياسية الاسرائيلية. ذلك أن حزب المباي سلف حزب العمل، العمود الفقري لتجمع المعراخ، كان قد حكم، هو ومن ثم خلفه حزب العمل، اسرائيل، وسيطرا على السياسة، الداخلية والخارجية، فيها منذ تأسيس الكيان الصهيوني في العام ١٩٤٨. ومن هنا، كثرت التفسيرات وتعددت في محاولة منها لايضاح أسباب سقوط المعراخ ونجاح التكتل (ليكود).

وفي حينه، بدا لبعض المراقبين وكأن ذلك التحول كان مفاجأة غير متوقعة. وفي الوقت ذاته، عزا البعض الآخر ذلك التحول لتدخلات خارجية جوهرها رغبة الولايات المتحدة في مجيء بيغن الى سدة السلطة باعتباره الأقدر على انجاح جهود التسوية، تماماً مثلما كان مجيء ديغول قد «سرّع» في منح الجزائر استقلالها.

وان كانت وقائع مسيرة السياسة الاسرائيلية، في عهد بيغن، طوال السنوات الخمس الماضية، قد أكدت فشل المراهنة عليه لتحقيق أي «تسوية عادلة» نتيجة اصراره على برنامجه المتعنت والمتطرف، فان البعض لا يزال يعتقد أن صعوده على سلم السلطة في اسرائيل مرتين متتاليتين انما كان حدثاً عابراً وغير متوقع وأنه قد تم في «غفلة» متكررة من غفلات الناخب الاسرائيلي. بل ان هؤلاء لا يزالون «سكرى» بأوهامهم تلك، حيث يتوقعون سقوطاً ذريعاً ونهائياً لبيغن في أية انتخابات اسرائيلية قادمة.

غير أن المتتبع الواعي لمسار الانتخابات الاسرائيلية لا بد له من أن يدرك أن نجاح بيغن مرتين حتى الآن لم يكن صدفة، ولم يكن مفاجئاً، ولم يكن في غفلة عن الناخب الاسرائيلي. بل ان نجاح بيغن، سواء في العام ١٩٧٧ أم في العام ١٩٨١، كاد يكون حدثاً متوقعاً بل «وطبيعياً» في ضوء التوقعات السابقة مباشرة للانتخابات، وفي ضوء النتائج المتراكمة للانتخابات السابقة، وفي ظل المتغيرات الأساسية التي كانت قد وقعت في المجتمع الاسرائيلي.